هبة الموت

للكاتب الفرنسي اناطول فرانس

بقلم السيد محمد العزاوي

جلس أندريه على شاطىء السين ساعةً يستروح النسيم ... وما كان أحد أحق منه بنسيم السين يروّح عنه الكد والتعب . إنه سوف يترك هذا كله بعد حين ! وجلس أندريه يفكر . ترى فيم أمضى بقية يومه ؟ ليس يدرى أندريه . ولكن الذى يدريه أنه قضى يومه فى باريس ؛ وأن كل شعاب باريس شاهدته اليوم يسير فيها . حتى إذا ما أضناه اللغب فزع إلى السين الحبيب . أى نهر وأى جلال ! ؟ أى موج وأى ثبج ! أى جمال وأى هدوء ! لن يبصر من هذا شيئاً ؛ وهو ليس بنادم على ذلك . إنه لن يندم لأنه سوف لا يري أمواجه الوديعة تميس وتدّلف . سوف لا يراها تتهادى إلى جنة الحب ، وتنساب إلى تلك الربوة حيث يجثم بيت « لوس » كهرة بيضاء . إذن فلن يرى وكر الحب ولا عش الغرام . حقاً لن يراه ولن يندم . لأنه سوف يلقى فى السجن حبيبته ، فيجدد — بقربها — أيام الوصل والأمـ ... ـل !

إنه لا يذكر من يومه هذا إلا قليلاً . فهو لا يذكر إلا أنه أصبح قلقاً حائراً ، وأنه اغتسل في الساعة الثامنة . ثم خرج يفطر فى أحد مطاعم « الياليه روايال » . وبينما النادل يعد له الطعام تصفح بعض الصحف . وقرأ فيها أسماء من حق عليهم الإعدام بساحة الثورة فى الرابع والعشرين من شهر فلوريال

وهو يذكر أنه أفطر بشهية . ثم قام فنظر فى المرآة إلى خياله ، حتى يصلح ما تشعث من لباسه الأنيق ؛ وحتى يرى أهو منبسط الأسارير أم منقبضها فيرسلها على سجيتها السمحة الطروب . وهو يذكر — كذلك — أنه سار على شاطىء السين بخطًى خفيفة سريعة ، قاصداً منزلا صغيراً ، يصنع زاوية مع السين وشوارع المازارين

هناك كان يعيش « المواطن لاردون » النائب العام لدى محكمة باريس الثورية ، وقد عرفه أندريه قبل ذلك راهباً متنسكا فى « أنجرس » ، ثم عرفه جمهورياً متطرفاً فى باريس

ودق أندريه الجرس . فظهر له — بعد دقائق — وجه لاردون يطل من كوة بالباب . فلما استوثق من اسم الزائر ومهنته فتحه على مصراعه مرحّباً . وكان لاردون مطهم الوجه ، أحمر الأذنين ، لعينيه بريق خاطف غريب . كان مظهره مظهر الجبان الضحوك ؛ ورحب بأندريه وهو يقوده إلى أفخم غرف المنزل

ولما أن ولج الباب أندريه ألفى مائدة ممدودة وُضعت عليها صحاف فخمة فيها طعام أُعِد لاثنين . وهو لا يذكر من ألوانه إلا فخذ خنزير وفرّوجاً ، « وفطيرة » من الحلوى الفاخرة ، وحساء وشواء كثيراً .. وبصر أندريه بستٍّ من زجاج الخمر المعتقة موضوعة في جردل من الماء لتبرد ، ولاحظ أندريه فوق المصطلى تفاحاً وفاكهة وجبناً !

وهو يذكر أنه استدار ببصره فى الغرفة الفسيحة ، فألفى زجاجات الخمر وقواريرها مختلطة — على المكتب — بأوراق الجمهورية المبعثر ... ثم وجد باباً مفتوحاً لم يشك أندريه فى أنه يؤدى إلى مخدع ، فقد كان ثَمّ سرير غير مرتب ... وأخيراً قال أندريه :

— أيها المواطن لاريون ! لقد جئتك كى تسدى إلى جميلاً

— أيها المواطن ! إنى مستعد أن أهبك إياه إن لم يتعارض مع مصالح الجمهورية

— إن ما أسألك أيها المواطن لاريون يتفق ومصالح الجمهورية ، ومصالحك أنت أيضاً

وجلس أندريه بإشارة من لاريون ثم قال :

— أيها النائب ! أنت تعلم أنى أعارضك منذ عامين وأعارض أصدقاءك ؛ وأنى صاحب مقالات « مذابح الإرهاب » إنك إذ تقبض علىّ لا تكون أسديت إلى الجميل الذى أرجو ، بل تكون أديت واجبك ، فليس طلبى إذن أن تقبض على . ولكن أعرنى سمعك أيها المواطن !

إنى مغرم وحبيبتى فى السجن ...

وأحنى لاريون رأسه مؤمناً على مشاعره ، ومتابعاً قوله . واستأنف أندريه :

— عهدى بك رجل شعور يا لاريون ! وإنى لأرجوك أن تصل بينى وبين من أهوى ، بأن ترسلنى سريعاً إلى سجن « بورت ليبر »

فابتسم لاريون بسمة العبث يخلطه الحزم ، أو الحزم يخلطه العبث ، ثم قال :

— ها ! ها ! أيها المواطن ! إنك تسألنى شيئاً أغلى من الحياة ! إنك تسألنى السعادة ! ثم مد ذراعيه نحو المخدع قائلاً : إيبشاريس ، إيبشاريس !

فبرزت من الخدر فتاة عارية الذراعين ، حاسرة النحر ، ترتدى قميصاً قصيراً وقبعة نائئة فاحتضنها لاريون واجتذبها إلى ركبتيه قائلاً :

— يا ملاكي ! تأملى وجه المواطن ولا تنسيه أبداً . إن المواطن مثلنا يعمر قلبه الحب والهوى وهو يعلم أن الفراق مر أليم؛ ولذلك يريد لقاء حبيبته فى السجن . وطابت نفسه أن يطيح رأسه معها بالمقصلة . أترين بأساً أن نطوق عنقه بجميل ؟

— فقالت الفتاة وهى تداعب خد القائد الثورى « كلا ! لا أرى بأساً » .

— إذن فقد أصدرت الحكم يامولاتى . واجب علينا أن نعين ذينك الحبيبين المغرمين المخلصين . أيها المواطن أندريه جرمين ! أعطني عنوانك وأنا أعمل على أن تبيت فى السجن الليلة

فقال أندريه بأنه موفق سعيد . فأجابه لاريون وهو يصافحه « ستذهب فتلقى حبيبتك . نبئها بربك أنك وجدت إيبشاريس بين ذراعى لاريون

وأحضانه ؛ فلعلها تستطيع أن تهبك بعض ما تهبنيه إبيشاريس ! »

قال أندريه إنه واجد أكثر من ذلك لديها في السجن . وإنه شاكر ، وآسف أنه لن يستطيع أن يرد للارديون الجميل . فقال لارديون وهو يضم إبيشاريس :

— إن المروءة هى ألا تطالب من أحسنت إليه برد الجميل . من يدرى متى يأتى دورنا ؟! اليوم دعنا نشرب ، ولا تفكر فى غدٍ وإلا تعكر الصفو ولاحت الغيوم ... أيها المواطن ! ألا تشاطرنا الطعام والشراب ؟

واستراحت إبيشاريس إلى الدعوة ، فقادت أندريه بلطف إلى المائدة . ولكنه أفلت منها برشاقة ومرح ... فخرج يشكر للنائب صنيعه

وهو لا يذكر بعد ذلك كيف أمضى بقية ذلك اليوم الطويل الثقيل ؛ ولكنه يدرك الآن أنه ينشق من نسيم السين آخر أنفاس الحياة ...

سير محمد العزاوى

حجوا بيت ربكم

وزوروا وطن نبيكم

على الباخرتين

زمـــزم و كـــوثر

أعـــدت لكم فيهما

شركة مصر للملاحة البحرية

جميع أسباب الاطمئنان ووسائل الراحة والأمان